دور الفكرة الدينية في تفعيل مشاريع التنمية في فكر ملك بن نبي

د. عمر محمودي

جامعة تيزي وزو (الجزائر)

omar.mahmoudi@gmail.com

إنّ أهمّ خطوة يمكن أن يقوم بها الدّارس لأيّ ظاهرة من الظّواهر، هي تلك المرحلة التي يقف فيها متأمّلا، وفاحصا من أجل تقديم عملية **توصيف** شاملة للموضوع الذي يبحث فيه، هذا بدوره يمهّد له الطّريق نحو الكشف عن **المبادئ العامة** التي يسري وفقها ناموس الظّاهرة قيد الدّرس، وكلّ عمليات التّشخيص التي يمكن إجراؤها لابدّ وأن ترجع إلى تلك القوانين، كما أنّ كلّ فَهْمٍ يريد رسم حلول للمشكلات، وإيجاد ترياق للأوضاع المأزومة لابدّ وأن يبدي إنصاتا **للقانون العام**. ومن غير هذا، تبقى الجهود المبذولة على **هامش التّاريخ**، لا يمكن أن تقدّم معرفة بانية، ولا إسهاما في الفعل الحضاري، سرعان ما تفنيها الأزمنة، وتنساها حاجات الإنسان التي تريد دائما **إسعافات حقيقية**، لا خطابات وعظية، ولا عبارات مخدّرة .

لقد سبق لعملاق الفكر الحضاري، **مالك بن نبي**، أن كشف عن إحدى المقولات الدّينامية المحركة لطاقات الشعوب، مبيّنا أنّ مشكلة كل شعب هي في جوهرها **مشكلة حضارته**، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحلّ مشكلته ما لم **يرتقي بفكرته** إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمّق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها. لقد كانت مقولة: **(الفكرة الدّينية)** كشفا عظيما في عالم أسرار تقدّم المجتمعات وانحطاطها، توضّح لنا دور عامل حاسم في تكوين وتطوير الواقع الاجتماعي. إنّ **الفكرة**

الدّينية تساهم إلى حدّ بعيد في خلق الظّاهرة الاجتماعية، فهي ذات **وقع شديد** في ضمير الفرد، **إذ تدخل** إلى سويداء قلبه، فتستقرّ معانيها فيه، لتحوله إلى إنسان ذي مبدأ ورسالة.

سنحاول في هذا المقال ومن خلال المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي أن نبيّن **دور الفكرة الدّينية**، كما تحدّث عنها مالك بن نبي، في فهم حثيات الواقع الاجتماعي، **وأهميّة تفعيل** هذه المقولة في النّماذج المقدّمة والمقترحة لتجاوز الوضع المأزوم، وتحويلها إلى مصنع لتوجيه طاقات الشعوب، تلك الطّاقات التي عصفت بها -ولا تزال تعصف- عوامل داخلية وخارجية، كان هدفها دائما بسط مظلات إمبريالية، وتغذية برامج سياسية إيديولوجية.

ومن هنا ارتأينا من خلال بحثنا هذا الموسوم بـ: " **دور الفكرة الدينية في تفعيل مشاريع التنمية في فكر ملك بن نبي"**، أن نجلّي مسألة إسهام **المرجعية الدّينية** في رفد الذّات والمؤسّسات الاجتماعية **بالموجّهات الأصيلة والنّاجعة**، في تحقيق أهدافها واجتياز العقبات التي تقف أماما، مع العلم أنّ العودة إلى **المعين الدّيني** هي عودة أصيلة للذّات التي تبحث عن دعائم كينونتها في معمعة الأزمات والكوارث التي تحدق بها، وتحاصرها من كلّ جانب.

تبرز أهمية البحث في كونه يمثل لبنة جديدة في مسار **تجديد الخطاب الديني** لمواكبة أحداث العصر وتطوراته، وهذا من خلال الخروج عن **منطق الطرح التقليدي**، والعمل على طرحه كفكرة أو كمجموعة أفكار؛ حيث **تسهل** عملية فهمه واستساغته من طرف الأفراد، خاصة مع عملية التعقيد في الطرح التي يتعرض لها.

وبناء على هذا، فإنّ حديثنا في هذه الدّراسة عن دور الدّين في الإصلاح الاجتماعي لا ينصرف إلى **سرد** النّصوص الشّرعية التي تشهد لهذه الوظيفة، وإنّما نتّجه بالخطاب نحو النّظرة **الشمولية الكلّية** التي تنطلق من عمق نظرية المعرفة الإسلامية.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة للدراسة، تناولنا البحث في مبحثين:

المبحث الأول بعنوان **الأسس النّظرية لفهم الأبعاد الإصلاحية للفكرة الدّينية**: سنتحدث فيه عن حضور الفكرة الدينية في فكر مالك ابن نبي، وعن السمات التي تتمتع بها الفكرة الدينية عنده كمحرك فعال للبناء الحضاري.

المبحث الثاني بعنوان **تفعيل الفكرة الدّينية واستثمارها في مشاريع التنمية:** سنتحدث فيه عن كيفية استثمار الفكرة الدينية في مشاريع التنمية؛ من خلال طرح نماذج تطبيقية مع إبراز أثرها في تطوير المجتمعات وترقيتها.

ولعلّه من مصلحة البحث أن نذكّر بأنّ هذا المقال لا يتغيا تقديم برنامج إجرائي، وإنّما يسعى إلى لفت الانتباه إلى أهمية استثمار ثروة ثقافية فكرية مهمّشة داخل المؤسّسات التربوية، ومبعدة في المشاريع والمخططات الإصلاحية، إلى يومنا هذا.

المبحث الأوّل

الأسس النّظرية لفهم الأبعاد الإصلاحية للفكرة الدّينية

المطلب الأول مفهوم الفكرة الدينية

لفظ الفكرة الدينية لفظ مركب وسنحاول في هذا المطلب تحديدي مفهومه من خلال تحديد مفهوم ألفاه المركبة له.

- **الفرع الأول مفهوم الفكرة:**

الفكرة في اللغة مشتق من مصدر فَكَّرَ، حيث إنّ الفاء والكاف والراء يدل على تردُّدُ القَلْب في الشَّيء، يقال تفكّرَ إذا ردَّدَ قلبه معتبِرا[1]. ويدل كذلك على إعمال الخاطر في الشيء[2]. ويطلق كذلك التَّفَكُّر ويراد به التأمل[3] والفكر في المعاني وهي فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها[4]. وفي العموم فإن الفكرة هي نتاج إعمال القلب والخاطر في الأشياء تأملا وملاحظة للوصول إلى حقيقتها.

- **الفرع الثاني مفهوم الدين:**

الدال والياء والنون أصلٌ واحد إليه يرجع فروعُه كلُّها. وهو جنسٌ من الانقياد والذُّل. فالدِّين: الطاعة، يقال دان له يَدِين دِيناً، إذا أصْحَبَ وانقاد وطَاعَ. وقومٌ دِينٌ، أي مُطِيعون منقادون[5]. ولهذا يطلق على الشريعة دينا لأن فيها معنى الطاعة الانقياد لله تعالى[6]، وبصفة عامة الدين هو وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم[7].

- **الفرع الثالث مفهوم الفكرة الدينية كلفظ مركب:**

لم يضع مالك بن نبي تعريفا مفصلا عن **الفكرة الدينية** بالمفهوم المتعارف عليه في رسم الحدود والمفاهيم، ولكن من خلال تتبع أعماله نجد أن مفهومها كان عبارة عن ممارسة يقوم بها ويعبر عنها وهذه الممارسة يمكن أن نعبر عنها بأن: الفكرة الدينية هي عبارة عن ذلكم الفعل الذي ينبعث من رحم الشرائع السماوية (الدين) -بمختلف توجهاتها-، بحيث يؤدي إلى خلق نظام يقوم بتحريك الطاقات الكامنة في الفرد بحيث تحفزه على تفعيل العلاقة بين مقومات الحضارة الثلاثة: الوقت، الأرض والإنسان[8].

1- ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص446.

2- ينظر: بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج7، ص7.

3- ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص448.

4- ينظر: المناوي، والتعريفات، ص263.

5- ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ج2، ص319

6- ينظر: الجرجاني، التعريفات، ص105.

7- ينظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص169.

8- ينظر: ابن نبي، ميلاد مجتمع، ص52 وما بعدها. ابن نبي، القضايا الكبرى، ص57 وما بعدها. ابن نبي، شروط النهضة، ص 53 وما بعدها. يقول ابن نبي: (وجملة القول إن الوسيلة إلى الحضارة متوفرة ما دامت هنالك فكرة دينية تؤلف بين العوامل الثلاثة: الإنسان، والتراب، والوقت، لتركب منها كتلة تسمى في التاريخ "حضارة "). ابن نبي، شروط النهضة، ص58.

وإذا نظرنا إلى هذا التعريف نجد أننا جمعنا فيه بين التعريف الاصطلاحي والتعريف الوظيفي؛ ففي التعريف الاصطلاحي بينا أصل وحقيقة الفكرة الدينية، وفي التعريف الوظيفي بين الوظيفة المنوط بها هذه الفكرة الدينية.

المطلب الثاني تكييف الإشكال

تعتبر عملية تحقيق التنمية من أهم الأهداف التي تسعى كل أمة إلى تحقيقها أثناء مسيرتها في تفعيل مشروعها الحضاري[1]، ولاشكّ أنّ **الفهم الجيّد** للوضعية التي يمرّ بها الفرد/المجتمع يتوقّف، إلى حدّ كبير، على **معرفة الأسباب** التي تؤدي إلى **تأسيس الفعل الحضاري** الذي تنشده كلّ أمّة.

وإنّه لمن حسن حظ الإنسان أن تكون النّواميس التي تسري وفقها عوامل النّهوض الحضاري (وكذلك أسباب الانهيار) جارية على نسق واحد في الاطّراد[2]، وهي بذلك تشكّل **دورات تتناوب** عليها الأمم والحضارات، أو تتقلّب عليها الأمّة الواحدة، على حسب استعدادات أفرادها ومدى أخذهم بشروط النّهوض والإقلاع الحضاري؛ فـ (من الملاحظات الاجتماعية أنّ للتاريخ دورة وتسلسلاً، فهو تارة يسجل للأمة مآثر عظيمة ومفاخر كريمة، وهو تارة أخرى يلقي عليها دثارها، ليسلمها إلى نومها العميق. فإذا ما أخذنا هذه الملاحظة بعين الاعتبار، تحتّم علينا في حل مشكلاتنا الاجتماعية أن ننظر مكاننا من دورة التاريخ، وأن ندرك أوضاعنا، وما يعتورنا من عوامل الانحطاط وما ننطوي عليه من أسباب التقدم. فإذا ما حدّدنا مكاننا من دورة التاريخ، سهل علينا أن نعرف عوامل النّهضة أو السّقوط في حياتنا)[3].

ومن خلال هذا إذن، تكمن إحدى مهمّات المفكّر والمثقّف الخطيرة، تلك المهمّة التي تدعوه إلى رصد أسباب التفعيل الحضاري، وتقديم الحلول المناسبة من أجل دفع عجلة التنمية في المجتمع وإخراجه من الظلمات إلى النّور.

المطلب الثّاني المشروع الحضاري النّموذج الأمثل لتفعيل المشروع التنموي

إن عملية تفعيل أي مشروع تنموي لا بد له من **أرضية حاضنة** تمهد له وتسعى في إنجاحه، ويمكن لنا أن نلحظ هذه الأرضية في فكر مالك بن نبي في المقومات التي رصدها لتحقيق المشروع الحضاري؛ حيث قام باختزالها في ثلاثة أشياء ألا وهي: **الانسان والتراب والوقت**[4]، فمن المستحيل أن ينجح أي مشروع تنموي في إذا لم يؤخذ في الاعتبار هذه المقومات[5]. ومن هذه الخلفية يحدّد مالك بن نبي

1- يقول ابن نبي في تقديم تصوره الاجمالي عن الحضارة (نرى في الحضارة جانبين: الجانب الذي يتضمن شروطها المعنوية، في صورة إرادة تحرك المجتمع نحو تحديد مهماته الاجتماعية والاضطلاع بها، والجانب الذي يتضمن شروطها المادية، في صورة إمكان، أي أنه يضع تحت تصرف المجتمع الوسائل الضرورية للقيام بمهماته، أي بالوظيفة الحضارية. فالحضارة هي هذه الإرادة وهذا الإمكان. وبهذا نستطيع الآن التعبير عن الاقتصاد على أنه الصورة المحَسّة، لهذه الإرادة ولهذا الإمكان، في ميدان خاص هو ميدان الاقتصاد.) ابن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ص61.

2- يقول الله تعالى عن ثبات هذا الاطراد وتكرره {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (62)} -سورة الأحزاب-.

3- ابن نبي، شروط النهضة، ص47.

4- يظر: ابن نبي، القضايا الكبرى، ص54 وما بعدها. ابن نبي، شروط النهضة، ص61 وما بعدها.

5- ومن بين التجارب التي فشلت في تفعيل مشاريع التنمية الاقتصادية بسبب عدم أخذها بعين الاعتبار هذه المقومات تجربة شاخت في إندونيسيا، يقول ابن نبي (بينما نرى تجربة مثل التي أجريت في إندونيسيا قد تضمنت كل شروط النجاح، سواء من ناحية الإمكانيات المادية

الوجهة الصحيحة في التّعامل مع أي مشروع تنموي من خلال حل المشاكل المتعلقة بهذه المقومات، يقول بن نبي (المعادلة العامة التي وصلنا إليها تدلّ على أنّ مشكلة الحضارة لا تُحل باستيراد منتوجات حضارية موجودة -مع الاحتفاظ بالصواب بين الإفراط والتّفريط كما بينا- ولكنها تستوجب حلّ ثلاث مشكلات جزئية:

1 - مشكلة الإنسان وتحديد الشّروط لانسجامه مع سير التّاريخ.

2 - مشكلة التّراب وشروط استغلاله في العملية الاجتماعية.

3 - مشكلة الوقت وبثّ معناه في روح المجتمع ونفسية الفرد)[1].

وبهذا انصرفت جهود مالك بن نبي في تقديم تصوّره الرّائع حول فلسفة الحضارة، وتقديم المسالك الدّقيقة في توجيه طاقات الإنسان، ووضع سياسة صحيحة في استثمار ثروات البلاد، علاوة على برمجة الخطوات الإجرائية للمشروع الحضاري في فضاء يستعيد محور الزّمن استعادة شعورية تمنح الظّواهر دورتها بالكامل حتى تنضج ولا تتعرض للإجهاض.

المطلب الثّالث إحداثيات الفكرة الدّينية في تحقيق المشروع الحضاري/مشروع التنمية

بعدما يؤكد مالك بن نبي على ضرورة القاعدة التمهيدية في احتضان أي مشروع حضاري تنموي، يقوم بعملية **تفكيك وتحليل** لها، مبيّنا العوامل الحاسمة التي تقوم عليها الحضارات، لكن عمل مالك بن نبي لم يتوقّف عند حدود **التّحليل والتّفكيك**، بل تجاوز ذلك إلى **التّركيب المفسّر** لكيفية حدوث التّفاعل بين عناصر الحضارة، وبيان ذلك أن الرغبة والقدرة على إنشاء مشروع حضاري (ناتجتان ليس عن تكديس[2] منتجات الحضارة، ولكن عن تركيب أصيل لعناصر: التراب، والإنسان، والزمن)[3]، وهذا التركيب هو ما يحقق لنا الحضارة في صورة المشاريع التنموية.

ولكن هذا التركيب لا يتم تلقائياً حيثما توفرت هذه العناصر، لأنّه قد تجتمع هذه العناصر من غير أن تقوم حضارة، لذلك لابدّ من وجود عامل حاسم، يكون له **دور المفعّل** الذي يعمل على تنشيط

= في أغنى بلاد الله من حيث الثروة الطبيعية والبشرية، أو من الناحية الفنية لأن واضع خطتها الدكتور (شاخت)، الرجل الذي نهض باقتصاد ألمانيا قبيل الحرب العالمية الثانية من نقطة الصفر تقريباً، ومع ذلك نراها فشلت فشلاً ذريعاً). ابن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ص9. فرغم جدارة شاخت كعالم اقتصاد وذو رؤية استشرافية فذة كانت سببا في نهضت ألمانيا، إلاّ أن إهمال اعتبار عامل الإنسان كمؤثر في الفعل الحضاري كان سببا أساسيا في فشل مخططه التنموي يقول ابن نبي (مشروع الدكتور (شاخت) في إندونيسيا أخفق، لأن هذا الاختصاصي أغفل جانباً هاماً في العملية الاقتصادية، وعاملاً أساسياً فيها، ألا وهو الإنسان، فقد خطط مشروعه المذكور في ضوء معلوماته عن الإنسان الألماني، الذي يحمل في معادلته الشخصية معطيات تجربة اجتماعية سابقة، بينما لا يجد إنسان إندونيسيا في طوره الحاضر هذه المعطيات في معادلته الشخصية). ابن نبي، تأملات، ص58.

1- ابن نبي، تأملات، ص201.

2- إن عملية التكديس من أكثر الأشياء التي انتقدها ابن نبي في أعماله، حيث اعتبره من بين المعوقات التي تحول دون تفعيل المشروع ، فليس علينا أن نتوقف على المنتج التي خلفته الحضارة بل يجب أن نتجاوزه إلى الفعل الذي أسس تلك الحضارة التي أنتجته. ينظر: ابن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، ص84. ابن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص 69. ابن نبي، تأملات، ص121. ابن نبي، شروط النهضة، ص 40 وما بعدها.

3- ابن نبي، القضايا الكبرى، ص67.

الشروط الحضارية، وتوجيهها نحو التجسّد الفعلي، وهذا العامل هو ما يطلق عليه مالك بن نبي اصطلاح **مركّب الحضارة** أي العامل الذي يؤثّر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض ولقد جسده في صورة **الفكرة الدينية**، يقول ابن نبي (إن هناك ما يطلق عليه (مركّب الحضارة) أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض، فكما يدل عليه التحليل التاريخي الآتي مفصلا، نجد أن هذا (المركّب) موجود فعلا، هو **الفكرة الدينية** التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ)[1]، فلا تخلوا حضارة من الحضارات من **فكرة دينية** رافقت دائماً تركيبها، وكانت **الباعث** على تفعيل العلاقة بين مقوماتها، ووجّهت ديناميكية الواقع الاجتماعي فيها[2]، بل حتى الحضارات التي تدعي اللادينية أو تطغى عليها المادية الروحانيات المبتدعة، فإن أساسها في الحقيقة فكرة دينية[3].

المطلب الرّابع الكفايات المنهجية للفكرة الدّينية

ليست الفكرة الدّينية مجرّد سمة عارضة في فهم الظّواهر النفسية والاجتماعية بل هي مقولة اكتشفها **مالك بن نبي** بفلسفته النّقدية لتكون الأساس الذي لا يمكن أن يستغني عنه أيّ تفكير في عالم الحضارات، من حيث فهم أسسها، ومشكلاتها، وعوامل قيامها وانحطاطها، وهي بذلك تتمتّع **بكفايات منهجية** في استنطاق الظّواهر قيد الدّرس، وفهمها فهما عميقا، ومن أهمّ السمات المنهجية التي تحملها الفكرة الدّينية في رحمها نذكر:

- **الفرع الأول المرجعية:**

إذ تمثّل الفكرة الدّينية **المصدر المتعالي** الذي تُقتبس منه المبادئ والموجّهات الحضارية التي يستحيل -من دونها- أن تخطو أمّة من الأمم خطواتها الصحيحة والسليمة نحو الرّقي؛ فـ (الحضارة لا تنبعث -كما هو ملاحظ- إلّا بالعقيدة الدّينية، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الدّيني الذي بعثها (...) فالحضارة لا تظهر في أمّة من الأمم إلّا في صورة وحي يهبط من السّماء يكون للنّاس شرعةً ومنهاجاً، أو هي -على الأقل- تقوم أُسسها في توجيه النّاس نحو معبود غيبي بالمعنى العام، وكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلّا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية أو بعيداً عن حقبته)[4]. هذ، وتلعب **المرجعية الدّينية** دورا مهما في رفد الذّات والمؤسّسات الاجتماعية **بالموجّهات الأصيلة والنّاجعة**، في تحقيق أهدافها واجتياز العقبات، مع العلم أنّ العودة إلى **المعين الدّيني** هي عودة

1- ينظر: ابن نبي، شروط النهضة، ص45، 46.

2- وعندما نذكر ديناميكية المجتمع فإننا نقصد به في المقام الأول **الخلية الأساسية** في تكونه ألا هو **الفرد**؛ لأن كل ما يؤثر على الفرد يؤثر على المجتمع، يقول ابن نبي (وهكذا نرى أن كل ما يغير النفس، يغير المجتمع، ومن المعلوم أن أعظم التغييرات وأعمقها في النفس قد وقعت في مراحل التاريخ مع ازدهار فكرة دينية). ابن نبي، ميلاد مجتمع، ص78. ويقول كذلك (الحضارة تولد مرتين، **أمّا الأولى**: فميلاد الفكرة الدّينية، **وأمّا الثانية**: فهي تسجيل هذه الفكرة في الأنفس، أي دخولها في أحداث التّاريخ). ابن نبي، شروط النهضة، ص55.

3- ينظر: ابن نبي، القضايا الكبرى، ص60، 61. ابن نبي، تأملات ص 185. ابن نبي، شروط النهضة ص 53.

4- ابن نبي، شروط النهضة، ص ص50، 51. وفي هذا الصدد يقول ابن نبي: (وإذا عرف أبناؤنا كيف يتسلحون بالفكرة القرآنية فإنهم سيحملون في النهاية أشرف مهمة). ابن نبي، العالم الإسلامي (المسألة اليهودية)، ص 38.

أصيلة للذّات التي تبحث عن دعائم كينونتها في معمعة الأزمات والكوارث التي تحدق بها، وتحاصرها من كلّ جانب.

- **الفرع الثاني تحرير الفاعلية الذّاتية:**

على النّقيض ممّا تفعله المشاريع الإصلاحية المقلّدة التي لا تملك نظريات واضحة الوسائل والأهداف، وإنّما تعمل على استهلاك الأفكار المستوردة من المجتمعات الغربية العلمانية[1]، لتحوّل -بذلك- الفرد المسلم إلى زبون مقلّد -دون أصالة- لحضارة غربية تفتح أبواب متاجرها أكثر من أن تفتح أبواب مدارسها، في مقابل ذلك، تؤدّي الفكرة الدّينية دورها الاجتماعي **بتحرير** القدرات الإبداعية للفرد المسلم، وتخليصها ممّا يعرقل مسيرة البناء والعطاء الإيجابي، وهي في ذلك تقوم **بإخضاع** غرائزه وأهوائه لعملية تكييف تتمثل بـ **(الكبح)** بمفهومه في علم النفس، فهي لا تقضي على الغرائز ولكنها تُلجمها وتُخضعها، (في هذه الحالة يتحرّر الفرد جزئياً من قانون الطّبيعة المفطور في ذاته، ويخضع وجوده كله للمقتضيات الرّوحية التي أوجدتها الفكرة الدّينية في نفسه، إيجادا يمارس معه حياته في هذه الحالة الجديدة طبقاً لقانون الروح)[2].

ومن هنا تظهر الصّلة الوطيدة بين الاستثمار في الفرد والعناية به، والبناء الحضاري؛ إذ يعدّ (كلّ تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة)[3].

- **الفرع الثالث سلطة التغيير:**

من أهمّ الخصائص الدّينامية التي تنطوي عليها الفكرة الدّينية قدرتها على زحزحة وتحويل الأفراد والمجتمعات من **حالة الرّكود والتّخلف إلى حالة النّشاط والرّقي**. وقد ربط مالك بن نبي بين قوة الفكرة الدينية في تثوير طاقات الأفراد والمجتمعات، وبين معالجة مشكلاته وأزماته الحضارية؛ فالقيام بثورة في الاتّجاه الإسلامي معناه تطبيق **(فنية ثورية)** مستوحاة من القرآن، فكلّ تغيير غريزي يفترض، تبعاً للقرآن، تغييراً في حال النّفس يقول الله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}**[4] -سورة

1- يقول ابن نبي (إن مخططا ما يجب ألا تكون له هوامش لعاب، بعضها من لعاب الرأسمالية، وبعضها الآخر من لعاب الماركسية، فأي مشروع نفكر فيه بأفكار الآخرين، ونحاول إنجازه بوسائل غيرهم معرض للفشل لا محالة. والموضوع هنا في منتهى الوضوح بالنسبة لتحديد الهدف: إن هدفنا خلق شروط الإقلاع وهذه هي مشكلة التنمية في جوهرها، ثم علينا أن نحدد بأية وسيلة سنبلغ ذلك الهدف، إذ ليس من مصلحتنا أن نستثمر بأي شيء: فليس من المقبول أن نستثمر ما نرغب فيه ونريده حتى بالوسائل التي هي في يد الغير، بل علينا أن نستثمر ما نستطيع بالوسائل الموجودة فعلا في أيدينا). ابن نبي، بين الرشاد والتيه، ص172.

2- ابن نبي، ميلاد مجتمع، ص 109.

3- ابن نبي، مشكلة الثقافة، ص 100.

4- فإرادة التغير معلقة بالنفس، لذلك كان حدوث التغيير لا يكون إلا بعد حدوثه في النفس، يقول الشعراوي في تفسير هذه الآية (يُوضِّح لنا أن أعمال الجوارح ناشئةٌ من نَبْعِ نفس تُحرِّك الجوارح؛ وحين تصلح النفس؛ تصبح الجوارح مستقيمة؛ وحين تفسد النفس تصير الجوارح غير مستقيمة). الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج12، ص7243. وهذا ما جعل ابن نبي يربط بين الفكرة الدينية التي تنتج قيما نفسية مؤثرة في شخصية الفرد وتطور الحضارة يقول ابن نبي (وإذن فكل القيم النفسية الزمنية التي تميز مستوى حضارة ما في وقت معين، ليست إلا الترجمة التاريخية لهذه العلاقة العضوية بين فكرة معينة كالإسلام مثلا، والفرد الذي يمثل بالنسبة إليها السند المحسوس. وهو هنا المسلم). ابن نبي، شروط النهضة، ص67.

الرعد: جزء من الآية 11-، وإذا كانت هذه الفنّية صادقة في المشكلة الاجتماعية كلها، فإنّ التخطيطات التي تنبني عليها يجب أن تحسن طرح الأسئلة الحقيقية الموصلة إلى الهدف:

1. ماذا يجب تغييره في النّفس المسلمة لكي نبرئ (مرض العالم الإسلامي)؟
2. ما الوسائل والمناهج إلى هذا التّغيير؟
3. وما الهدف- أو السبب النّهائي- الذي يهدف إليه تغيير كهذا؟[1].

وهذا **التغيير** التي تحدثه الفكرة الدّينية يدلّ على أنّها ليست مقولة من مقولات **التّرف الفكري**، فهي لا تقتصر من حيث كفايتها في التغيير على البنية العميقة للظّواهر النّفسية الاجتماعية، بل تطال كذلك البنية السطحية التي تعكس صورة الفرد والأمّة، فهي بذلك تؤدّي وظيفة جمالية سامية يقول **مالك بن نبي**: (إن الفكرة الدّينية تحدث تغييرها حتى في سَمْت الفرد ومظاهره، حين تغير من نفسه، وبذلك يكون لمنهج التربية الاجتماعية أثره في تجميل ملامح الفرد، أي أن مجموعة من الانعكاسات تؤدي إلى خلق صورة جديدة، كأنها تتمثل في وجه جديد)[2].

إن هذا التغيير التي تحدثه الفكرة الدينية في نفسية الفرد يكون لنا ما نسميه بالفرد الفعال الذي له القدرة والإمكانية على إحداث التأثير، بهذا نكون قد انتقلنا من حالة السكون الذي يرادفه **الرّكود والتّخلف** إلى حالة التأثير الذي يرادفه **النّشاط والرّقي**.

- **الفرع الرابع الفحص والنّقد:**

اهتمّ **مالك بن نبي** بمبدأ النّقد اهتماما بالغا، حيث علّق عليه أسباب النّجاح في التّخطيط، والتوفيق في الوقوف على أسباب الأزمات، لذلك يلحّ على أن يكون هذا المبدأ مرافقا لمهمّات المفكّر؛ فـ (النخبة عندما تفقد موهبة النقد الذاتي على وجه الخصوص، فهي على هذا كأنها اقتنعت بتسجيل الفشل ولكن دون أن تسعى في تَفَهُّم أسبابه)[3].

وبناء على ذلك يصبح النّقد واجبا فكريا يقتضيه السير الراشد نحو تحقيق الفعل الحضاري، (وليس هذا ((الواجب)) بالشيء البسيط، فهو يتضمن معنيين، أحدهما يتصل بالجانب الأخلاقي عندما يؤدّي النقد وظيفة ((الشهادة)) للحكم القائم بأنه أصاب، ويتصل الثاني بالجانب الفنّي في صورة ((حكم)) على أعمال الذين بيدهم مقاليد السياسة. وهكذا ترتبط فعالية النّقد بشرطين: **الإخلاص للشهادة، والكفاءة للحكم)**[4].

1- ينظر: بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، ص253، 254.

2- ابن نبي، ميلاد مجتمع، ص74.

3- ابن نبي، في مهب معركة، ص114.

4- ابن نبي، في مهب معركة، ص141. وهذا وما جعل ابن نبي يؤكد على أن ما يحافظ على تماسك المجتمعات المتحضرة هو عملية النقد سواء كانت النقد الذاتي أو النقد المجتمعي يقول ابن نبي (ففي المجتمع المتحضر يقع كل خطأ في الأسلوب تحت طائلة النقد، ويقع كل خطأ في السلوك تحت إرغام المجتمع. وبواسطة هذه الوظيفة الثنائية الجانب يحافظ المجتمع على نقاوة أُسلوبه، وعلى الصفات المميزة لفعَّاليته). ابن نبي، القضايا الكبرى، ص84.

وإذا اختلّ هذان الشرطان أو تخلّفا عن الإسهام في عمليات التّقويم والنّظر، (فإنّ ((النّقد)) لا يقوم بدوره فهو لن يقوّم اعوجاجا، ولن يصلح فساداً، لأنّه أعرج لا يمشي على رجلين، فلا يأتي بما يقوّم الأشياء، ولا بما يكمل ويوسّع معانيها، ولا بما يهدي الأعمال إلى طريق الرّشاد)[1].

إنّ الفكرة الدّينية تعمل على **تفعيل** هذا المبدأ العقلاني الذي يقوم بفحص كلّ المعارف والمشاريع المقدّمة على أنّها صالحة لتفعيل مشارع التنمية، واختبار مدى صلاحيتها على المدى البعيد، وبصورة أخصّ فهي تنشئ جهاز مراقبة حساس تكون وظيفته الأساسية معرفة الخطأ من الصواب في المشاريع التخطيطية المعدّة لحلّ الأزمات. وقد ذهب **مالك بن نبي** إلى أنّه من الضروري في فترة الأزمات أن ينشأ علم اجتماع خاصّ بالمرحلة المأزومة، ليكون بين أيدي من يشرف على أجهزة الدّولة أداة رقابة لا ينفصل عن جهاز التّخطيط[2].

هذا مع الإشارة إلى أن هذه العملية لا يجب أن تتطور وتصل مرحلة الرفض، بمعنى رفض كل ما يطرحه الطرف الآخر المخالف، فهنا نكون قد خرجنا من عملية النقد إلى عملية الاقصاء، وهذه العملية لا ينتج عنها إلا **تجميد العقل النقدي**[3].

المبحث الثاني

تفعيل الفكرة الدّينية واستثمارها في تحقيق التنمية

لعلّ أهمّ مرحلة في اختبار القوّة النّظرية للمفاهيم وصلابة الطّروحات، تلك الإجراءات التّطبيقية التي تحاول تفعيل الجانب النّظري الذي تحمله المشاريع الإصلاحية، وستبقى قيمة هذه النماذج المقترحة رهينة كفاياتها المنهجية المجسّد على أرضية الأحداث، فالإصلاحات يجب أن تكون دائما حاضرة في الواقع بتفاصيله وتناقضاته وإحراجاته.

والفكرة الدّينية عندما تنزل إلى واقع النّاس تعمل على تحريك طاقاتهم وترتيبهم وتنظيمهم وتخصيبهم؛ فهي (تدعو إلى الثّورة على العقم الاجتماعي وعلى أحلام اليقظة، وإلى أن **يقترن منطق العمل والحركة في المجتمع الإسلامي بمنطق الفكرة**، فيصبح الإنسان الجديد يفكر ليعمل، ويقول كلاما منطقيا من شأنه أن يتحوّل في الحال إلى عمل ونشاط)[4].

1- ابن نبي، في مهب المعركة، ص114. هذا ولقد تأسف بن نبي على الحال الذي آل إليه الفكر الإسلامي خاصة في القرن الأخير؛ بحيث تخلى عن مهمته في الفحص والنقد واكتفى بدور المتلقي فقط (والواقع أن المجتمع الإسلامي منذ نصف قرن لم يقدر هذه الشروط حق قدرها، فقبس من (أشياء) الغرب دون أدنى مقياس أو نقد، يحمله على ذلك أحياناً نوع من الإكراه، وغالباً كثير من النفج وفراغ العقل. وكل ما يسوده من اختلاط وفوضى في الميادين الفكرية والخلقية أو في ميادين السياسة إنما هو نتيجة ذلك الخليط من الأفكار الميتة... تلكم هي الأفكار الخطيرة حتى على الحضارة التي خلقتها، والتي تتردد كثيراً في جوانب النهضة الإسلامية، وهكذا تتراكم في مجتمع انطمر ببقايا انحطاطه، بقايا تحلل جديد. ويخيل إلينا أن أحداً لم يفكر حتى الآن في نقد ما قبسه مجتمعنا في نصف قرن. ومع ذلك فإن تصفية الأفكار الميتة، وتنقية الأفكار الميتة يعدان الأساس الأول لأية نهضة حقة). ابن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص 81، 82، 83.

2- ابن نبي، بين الرشاد والتيه، ص41.

3- نفس المصدر، ص41. وما بعدها.

4- عبد اللطيف، فقه التّغيير، ص175.

ولقد اخترنا لبيان أهمية الفكرة الدينية لتحقيق التنمية **موضوع الاقتصاد**؛ بمعنى كيفية مساهمة الفكرة الدينية في تفعيل **التنمية الاقتصادية**، وذلك اعتمادا على المعادلة العامة التي وضعها مالك ابن نبي **للحق والواجب**؛ حيث جعل **الانسان**[1] هو محور هذه المعادلة، ونسبة التنمية الاقتصادية في هذه المعادلة تتحدد من خلال **تركيز الانسان** على أحد المفهومين **(الحق/الواجب)**. يقول بن نبي (...فحسب تركيزه على مفهوم (الواجب) أو على مفهوم (الحق)، تكون معادلته الاقتصادية **إيجابية بفائض الإنتاج** على الاستهلاك، **أو متعادلة** إذا استوى الطرفان. **أو سلبية** إذا كان الاستهلاك أرجح في الميزانية. ففي **الحالة الأولى** يستطيع المجتمع استثمار فائض إنتاجه في العمليات والميزانيات المقبلة فهو **مجتمع نام**. وفي **الحالة الثانية** فإن كفتي ميزانه متعادلتان فلا ترجح واحدة على الأخرى، فهو لا يصعد ولا يهبط، فهو **مجتمع راكد**. أما في **الحالة الثالثة** فكفة استهلاكه أرجح لا يصعد ولا يستقر، فهو **مجتمع ينهار)**[2].

وما سنقوم به في هذا المبحث هو التركيز على كل حالة من هذه الحالات التي ذكرها مالك بن نبي مع بيان الفكرة الدينية التي ساهمت **في النمو** الاقتصادي فيها، كما في الحالة الأولى، أو الفكرة الدينية التي ستساهم **في إنعاش** الاقتصاد وتنميته، كما في الحالة الثانية والثالثة.

المطلب الأول حالة الازدهار الاقتصادي

سنتحدث في هذا المطلب عن **أهمية استحضار** الفكرة الدينية في تحقيق التنمية الاقتصادية وذلك من خلال كون **الواجب الذي يبذله** الإنسان أكبر من **الحق الذي يطالبه**، وسنضرب مثالا عن كيفية تجسيد هذه الصورة.

- **الفرع الأول صورة المسألة:**

صورة المسألة كما رسمها بن نبي في أن الإنسان الذي يُقَدّم الواجب الذي عليه على الحق الذي يطالب به؛ بحيث يصبح ما يبذله الإنسان أكبر من الحق الذي يطالبه، يحقق ازدهار اقتصادي؛ وبيان ذلك أن الواجب المبذول بزيادة يتحول إلى **فائض إنتاج**، وهذا الفائض يمكن **استثماره** في العمليات والميزانيات المقبلة لتحقيق التنمية، ونكون هنا قد حققنا أول خطوة في تحقيق الازدهار الاقتصادي.

- **الفرع الثاني تجسيد صورة المسألة:**

من الأفكار الدينية التي قامت على تجسيد هذه الصورة نجد فكرة **الإعداد** كما جاء في قوله تعالى **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}**[3] -سورة الأنفال، جزء من الآية 60-.

1- يقول ابن نبي عن أهمية الإنسان (إذا فكرنا، على سبيل المثال، فيما يسمى (تغطية) المشروع ندرك مباشرة عن طريق الأرقام أن القيمة الأولى في نجاح أي مشروع اقتصادي هي الإنسان. ويمكن القول بقدر ما استفدنا من تجارب العالم الثالث في العقود الأخيرة، إن إهمال أو تجاهل قضية الإنسان هي من الأمور التي أفقدت هذه التجارب الشرط الأساسي لنجاحها). ابن بني، المسلم في عالم الاقتصاد، ص58.

2- ينظر: بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ص88.

3- يقول محمد رشيد في تفسير هذه الآية (أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يجعلوا الاستعداد للحرب التي علموا أن لا مندوحة عنها لدفع العدوان والشر، ولحفظ الأنفس ورعايته الحق والعدل والفضيلة بأمرين: **أحدهما**: إعداد جميع أسباب القوة لها بقدر الاستطاعة =

حيث صالح النبي صلى الله عليه وسلم يهود خيبر على نصف ثمرها بعدما أن نصره الله عليهم[1]، فعوض أن يجبرهم النبي صلى الله عليه وسلم على الخروج من ديارهم، وتقسيم أراضيهم وممتلكاتهم على المسلمين، وهذا كان حقا للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع المسلمين، فضل صلى الله عليه وسلم أن **يؤخر هذا الحق ويقدم عليه الواجب المبذول**، من أجل تحقيق مصلحة كبرى ألا وهي **الإعداد للدولة والتمكين لها**؛ وذلك أن ثمر خيبر كان من أجود الثمار، واليهود الملاك الاصليون لها كانوا من أعرف الناس بها وكيفية استغللها وتحصيلها، وزد على ذلك أنهم صالحوا على النصف، هذا دافع آخر ليقوموا بزيادة الانتاج، حتى لا يقع نقص في مواردهم عندما يتقاسمونها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وبهذا يتحقق لدينا **فائض إنتاج** يستطيع أن يستغله النبي صلى الله عليه وسلم في إنعاش اقتصاد المدينة المنورة وتحقيق **ازدهار اقتصادي**. هذا، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في أمس الحاجة إلى تحقيق هذا الازدهار لأنه يمكن له من **تمويل** حمالاته العسكرية وخاصة أنه كان يحضر **لفتح مكة**[2].

المطلب الثاني حالة الركود الاقتصادي

سنتحدث في هذا المطلب عن **كيفية مساهمة** الفكرة الدينية في تحقيق التنمية الاقتصادية، وذلك من خلال نقل الاقتصاد من **حالة الركود إلى حالة الانتعاش**، وسنضرب مثالا عن كيفية تجسيد هذه الصورة.

- **الفرع الأول صورة المسألة:**

وبيان صورة المسألة كما أشار إليها مالك بن نبي أن الحق الذي يطالب به الإنسان **مساو** للواجب الذي يبذله؛ بمعنى **استواء في مزان الانتاج والاستهلاك**، فإذا عمت هذه الظاهرة وشاعت بين الناس ولاقت رواجا بينهم دخل **(الاقتصاد/المجتمع)** في حالة **ركود**، ومن أجل الخروج من هذه المرحلة لابد من مفعل يولد لنا حالة انتعاش وهنا يأتي دور الفكرة الدينية.

- **الفرع الثاني تجسيد صورة المسألة:**

من الأفكار الدينية التي استثمرها النبي صلى الله عليه وسلم لعلاج هذه الظاهرة نجد **فكرة الاسترزاق**؛ وهذا من خلال الحث على **السعي في طلب الرزق الحلال**، ففي الحديث عن أنس بن مالك: أن رجلاً من الأنصار أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم يسأله، فقال صلى الله عليه وسلم: **(أما في بيتك شيء؟)**.

وثانيهما: مرابطة فرسانهم في ثغور بلادهم وحدودها، وهي مداخل الأعداء ومواضع مهاجمتهم للبلاد، والمراد أن يكون للأمة جند دائم مستعد للدفاع عنها إذا فاجأها العدو على غرة، قاومه الفرسان، لسرعة حركتهم، وقدرتهم على الجمع بين القتال، وإيصال أخباره من ثغور البلاد إلى عاصمتها وسائر أرجائها، ولذلك عظم الشارع أمر الخيل وأمر بإكرامها). محمد رشيد، تفسير المنار، ج10، ص53.

1- يقول الحضرمي (وعامل النبي صلى الله عليه وسلم يهود خيبر على أن يعملوها، ويكفوا المسلمين مئونتها ما داموا مشغولين بالجهاد، ولهم نصف ما يخرج منها من الثمار). الحضرمي، حدائق الأنوار، ص339.

2- كان فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة ولقد شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتم هذا بسري تامة يقول بن حبان (ثم عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسير إلى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ. وقال: **(اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش)**. ابن حبان، السيرة النبوية، ج1، ص324.

قال: بلى، حِلْسٌ[1]: نَلْبَسُ بعضَه ونَبْسُطُ بعضَه، وقَعْبٌ[2] نشربُ فيه من الماء. قال صلى الله عليه وسلم: **(إئتني بهما)**، قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده، وقال: **(من يشتري هذين؟)**، قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال صلى الله عليه وسلم: **(مَنْ يزيدُ على درهم؟)** مرتين أو ثلاثاً، قال رجل: "أنا آخذُهما بدرهمين". فأعطاهما إياه، وأخذَ الدرهمين، فأعطاهما الأنصاريَّ. وقال صلى الله عليه وسلم: **(اشترِ بأحدهما طعاماً، فانبِذْه إلى أهلك، واشترِ بالآخر قَدوماً[3] فأتني)**. فأتاه به، فشدَّ فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده، ثم قال له: **(اذهبْ فاحتَطِبْ وبع، ولا أرَيَنَّك خمسةَ عشرَ يوماً)**. فذهب الرجلُ يَحْتَطِب ويبيع، فجاء، وقد أصابَ عشرةَ دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً، وببعضها طعاماً، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم **(هذا خيرٌ لك من أن تجيءَ المسألةُ نكتةً في وجهك يومَ القيامة، إن المسألة لا تَصلُحُ إلا لثلاثة: لذي فَقْرٍ مُدْقع، أو لذي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أو لذي دَمٍ مُوجِع)**[4].

فمن خلال الحديث فإن هذا السائل استوى فيه طرفي **(الحق/الاستهلاك)** و**(الواجب/الانتاج)**؛ فمن جهة **(الحق/الاستهلاك)** فهو رجل فقير تجوز فيه الصدقة والزكاة، ولكن فقره لم يبلغ درجة **الإدقاع (الفقر المدقع)**[5] المانع لحصول **(الواجب/الانتاج)** فيه وهذا بدليل الحديث؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بينه له في الأخير الأصناف الذين يجوز لهم سؤال الصدقة ومنهم **(فقر مدقع)** فلو كان منهم ما بين له ذلك.

ويمكن القول أن هذا الصحابي كان من قبل يقوم **(بواجبه/انتاجه)** بقدر ما يسد رمقه أو ما يلبي **(حقه/استهلاكه)**. لذا، نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشده إلى الخروج من **دائرة الراحة** التي وضع نفسه فيه، والسعي في توسيع **(واجبه/انتاجه)**؛ وذلك من خلال **بث فكرة الاسترزاق فيه** عندما أمره بأن يأتي بالحلس والقعب من بيته وبيعه لهما صلى الله عليه وسلم في المزاد العلني بدرهمين، **وحثه عليها** - فكرة الاسترزاق- عندما أمره بأن يذهب ويحتطب ولا يراه يتسكع في الأجواء لمدة خمسة عشرا يوما، وهذا ليخرجه من **دائرة الراحة والركود** التي كان يعيشها، ويدخله في سلسلة الانتاج **والانتقال إلى مرحلة الانتعاش** التي سطرها له صلى الله عليه وسلم، وبعد فترة من الزمن بانت حكمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث خرج هذا الصحابي من **مرحلة الركود إلى مرحلة الانتعاش.**

إن فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع هذا الصحابي فيه حكمة عظيمة جدا، بحيث لم ينظر إليه صلى الله عليه وسلم كصديق يجب مساعدته وكفى، وإنما نظر إليه كإنسان تكمن فيه **طاقات كبيرة** يجب استغلالها وترشيدها، وبهذا يكون النبي صلى الله عليه وسلم عالج إشكالين في آن واحد من خلال استثمار الفكرة الدينية تحت شعار الاسترزاق:

1- **الحلس:** هو ما يكسو به الإنسان ظهره من رداء، ويقال كذلك للحلس للكساء الَّذِي يجعل تحت البرذعة يُقَالُ أحلست البعير من الحلس. ينظر: الخطابي، غريب الحديث، ج1، ص508.

2- **القعب:** هو القدر. ينظر: الخطابي، غريب الحديث، ج2، ص352، 427.

3- **القدوم:** هي آلة لقطع الأشجار ونحتها. ينظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، ص1786.

4- أبي داود، سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، حديث رقم: 1641، ج3، ص81.

5- **الفقر المُدقع:** هُوَ الفَقْر الشديد المُفْضِي بالإنسان إلى الدَّقْعاءِ وهو التُّراب. ينظر: الخطابي، غريب الحديث، ج1، ص143.

- **الإشكال الأول:** أنه ساعد إنسانا على تجاوز أزمته من خلال إرشاده إلى أفضل طريقة لاستغلال طاقاته وإمكاناته.
- **الإشكال الثاني:** أعطى درسا للمجتمع وعن كيفية تجاوز مرحلة الركود والدخول في مرحلة الانتعاش، عندما أرشد ذلك الصحابي إلى كيفية استغلال طاقاته وإمكاناته على الملأ من خلال إقامته صلى الله عليه وسلم للمزاد العلني.

ولم يكتفي النبي صلى الله عليه وسلم بهذا فقط بل وبين أن اليد التي تسعى في الكسب والاسترزاق الحلال هي اليد العليا وهي خير وأعظم من اليد القاعدة التي لا تسعى وكناها باليد السفلى، فعن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر، وذكر الصدقة، والتعفف، والمسألة: **(اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا: هي المنفقة، والسفلى: هي السائلة)**[1].

المطلب الثالث حالة الانهيار

سنتحدث في هذا المطلب عن **كيفية مساهمة** الفكرة الدينية في تحقيق التنمية الاقتصادية، وذلك من خلال **إعادة بعث الاقتصاد من جديد**، وإنقاذه من حالة الانهيار والفوضى التي يعيشها، ونقله إلى حالة النمو والازدهار.

- **الفرع الأول صورة المسألة:**

وبيان صورة المسألة كما أشار إليها مالك بن نبي أن **(الحق/الاستهلاك)** الذي يطالب به الإنسان يكون أكبر من **(الواجب/الانتاج)** الذي يبذله؛ بمعنى أن هناك خلل في الميزانية العامة؛ حيث إن الاستهلاك أكبر من الانتاج، فإذا كان الأمر كذلك سنكون أمام **اقتصاد منهار ومجتمع مستهلك** لا يسعى إلا لتلبية **(حاجات/استهلاكاته)**، وهنا يفقد المجتمع **عقلانيته** وقدرته على **التمييز** بين الصواب والخطأ؛ بحيث يتنكر **(لواجباته/إنتاجيته)** ويصبح لا يرى إلا **(حقوقه/استهلاكه)**، وعندما يفعل المجتمع ذلك يدخل في مرحلة **القابلية للاستعمار**[2]، وتصبح تصرفاته ورغباته وأهواءه خاضعة **لتجاذبات خارجية** تسيره على حسب **أغراضها** السياسية، **ومصالحا** الاقتصادية -وللأسف هذا هو حال الغالبية العظمى من الدول الإسلامية الآن- وهنا يأتي دور **الفكرة الدينية**، حيث توظف لإعادة إحياء المجتمعات وبعث الاقتصاد.

- **الفرع الثاني تجسيد صورة المسألة:**

1- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، حديث رقم: 1429، ج2، ص112.

2- يصف مالك بن نبي هذه المرحلة فيقول (إن هناك نتيجة منطقية وعلمية تفرض نفسها، هي: أنه لكي نتحرر من (أثر) هو الاستعمار، يجب أن نتحرر أولاً من (سببه) وهو القابلية للاستعمار. فكون المسلم غير حائز جميع الوسائل التي يريدها لتنمية شخصيته، وتحقيق مواهبه: ذلك هو الاستعمار؛ وأما ألا يفكر المسلم في استخدام ما تحت يده من وسائل استخداماً مؤثراً، وفي بذل أقصى الجهد ليرفع من مستوى حياته، حتى بالوسائل العارضة، وأما ألا يستخدم وقته في هذه السبيل، فيستسم- على العكس- لحظة إفقاره وتحويله كمّاً مهملاً، يكفل نجاح الفنية الاستعمارية: فتلك هي القابلية للاستعمار). ابن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص95، 96.

من الأفكار الدينية التي وظفها النبي صلى الله عليه وسلم لعلاج هذه الظاهرة نجد **فكرة الإخاء** وذلك في أرقى صورها ألا وهي **الإيثار**[1]. ففي السنة الثالثة عشرة من البعثة هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب[2]، وذلك بعد الاتفاق مع زعمائها في بيعتي العقبة الأولى والثانية على تحديد الحقوق والواجبات من كل طرف[3]، وبعد أن وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب -والتي سميت المدينة المنورة بعد ذلك-[4] وجد فيها مجتمعا منهارا وخاضعا لسلطة اليهود ومصالحهم؛ فمن:

- **الناحية السياسية:** كان اليهود يتفنون في إشعال نيران الحروب والفتن، وخاصة بين كبرى قبائل المدينة الأوس والخزرج[5]، وكانوا يتحكمون في هذه الحروب من حيث **التمويل والتموين**؛ حيث كانوا يستغلون حاجة القبائل إلى تمويل تلك الحروب، فكان اليهود يقرضونهم بأقساط ربوية كبيرة، تنتهي في غالبيتها إلى العجز عن السداد، وبالتالي الخضوع لتبعيتهم ونفوذهم.
- **ومن الناحية التجارية والزراعية:** فلم يختلف الأمر كثيرا فلقد كانت التجارة بأيدهم في غالبتها بسبب **قوة سلطان المال** عندهم واحتكارهم للأسواق[6]. وبالنسبة للزراعة فلقد كانت **أجود الأراضي الزراعية** مثل خيبر تحت أيديهم، وذلك أن اليهود كانوا أسبق من العرب في سكنى المدينة، لذا اختاروا أخصب أرضها ليسكنوا فيها[7].

1- **الإيثار:** هو أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة. ينظر: الجرجاني، التعريفات، ص40.

2- ويذكر السهيلي في كتابه الروض الأنف عن سبب تسميتها يثرب فيقول (**اسم يثرب:** وأما يثرب فاسم رجل نزل بها أول من العماليق فعرفت باسمه وهو يثرب بن قاين بن عبيل بن مهلايل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن إرم، وفي بعض هذه الأسماء اختلاف وبنو عبيل هم الذين سكنوا الجحفة فأجحفت بهم السيول وبذلك سميت الجحفة، فلما احتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كره لها هذا الاسم أعني: يثرب لما فيه من لفظ التثريب وسماها طيبة والمدينة). السهيلي، الروض الأنف، ج4، ص172.

3- ينظر: بن كثير، سيرة بن كثير، ج2، ص172، 192.

4- يذكر الحموي في كتابه معجم البلدان أن للمدينة تسعة وعشرون اسما، وهي: المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكينة، والعذراء، والجابرة، والمحببة، والمحببة، والمحبورة، ويثرب، والناجية، والموفية، وأكّالة البلدان، والمباركة، والمحفوفة، والمسلمة، والمجنة، والقدسية، والعاصمة، والمرزوقة، والشافية، والخيرة، والمحبوبة، والمرحومة، وجابرة، والمختارة، والمحرمة، والقاصمة، وطبابا. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص83.

5- يقول الشعراوي (لما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أفسد على اليهود خطة حياتهم؛ فاليهود كانوا ممثلين في بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وكان هناك في المدينة الأوس والخزرج، وبينهما حروب دائمة قبل أن يأتي الإسلام، فاليهود قسموا أنفسهم إلى قوم مع الأوس وقوم مع الخزرج حتى يضمنوا استمرار العداوة، فكلما هدأ القتال أهاجوا أحد المعسكرين على الآخر ليعود القتال من جديد، وهم كذلك حتى الآن وهذه طبيعتهم). الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج1، ص437.

6- ويدل على هذا أن عبد الرحمن بن عوف لما سأل عن سوق الأنصار دلوه مباشرة على سوق بني قينقاع ومن هم من اليهود. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين، والأنصار، حديث رقم: 3780، ج5، ص31.

7- يذكر الحموي في كتابه معجم البلدان أن عن سبب سكن اليهود المدينة (وكان سبب نزول اليهود بالمدينة وأعراضها أن موسى بن عمران، عليه السلام، بعث إلى الكنعانيّين حين أظهره الله تعالى على فرعون فوطئ الشام وأهلك من كان بها منهم ثم بعث بعثا آخر إلى الحجاز إلى العماليق وأمرهم أن لا يستبقوا أحدا ممن بلغ الحلم إلا من دخل في دينه، فقدموا عليهم فقاتلوهم فأظهرهم الله عليهم فقتلوهم وقتلوا ملكهم الأرقم وأسروا ابنا له شابّا جميلا كأحسن من رأى في زمانه فضنّوا به عن القتل وقالوا: نستحييه حتى نقدم به على موسى فيرى فيه رأيه، فأقبلوا وهو معهم وقبض الله موسى قبل قدومهم فلما قربوا وسمع بنو إسرائيل بذلك تلقوهم وسألوهم عن أخبارهم فأخبروهم بما فتح الله عليهم، قالوا: فما هذا الفتى الذي معكم؟ فأخبروهم بقصته، فقالوا: إن هذه معصية منكم لمخالفتكم أمر نبيكم، والله لا دخلتم علينا بلادنا أبدا، فحالوا بينهم وبين الشام، فقال ذلك الجيش: ما بلد إذ منعتم بلدكم خير لكم من البلد الذي فتحتموه وقتلتم أهله فارجعوا

هكذا كانت الحياة في المدينة قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم، حياة في مجملها خاضعة **لسلطان اليهود ونفوذهم**، وكان لهذه الحالة تأثير مباشرة على سكان المدينة؛ حيث أنتجت لنا **إنسان فارغا**، منهارا، ضعيف الشخصية، **فاقد الإرادة** السياسية والاقتصادية، **تابعا** للأجندة الخارجية التي كانت تحيكها اليهود على حسب أهوائها ومصالحها، ولم يكن وعي هذا الإنسان يخرج عن دائرة **الحرب وتبعياتها** من العنجهيات الفارغة، ونشر الأحقاد، وروح الانتقام، وبسط النفوذ، والعصبية للقبيلة ولو كان لحيوان القبيلة[1]. ولم يكن يتوانى هذا الانسان على فعل أي شيء من أجل تلبية **(حاجاته/استهلاكاته)**، والتي كان يتصورها **حقوق له**، هذا ما جعل منه إنسان **مستهلكا بامتياز**، تتوفر فيه كل شروط **القابلية للاستعماروالاستغلال**.

وأول ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تفطن إلى هذا الأمر، ولفداحة الوضع وخطورته، نظرا لتمسك اليهود بمقاليد كل شيء ولحداثة الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن أجل ضمان نجاح مشروعه اعتمده صلى الله عليه وسلم على مرحلتين:

- **المرحلة الأولى التمهيد:** وفيها مهد النبي صلى الله عليه وسلم الناس لقبول **فكرة الإخاء** التي كان يريد طرحها، وذلك من خلال إحاطتها بهالة من **القداسة** وإضفاء **الشرعية الدينية** عليها؛ حيث جعلها صلى الله عليه وسلم من الأسباب الموجبة لدخول الجنة، فعَنْ عَبِ عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: "لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس قبله، وقيل: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثلاثا، فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: **(يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)**"[2]. ولم يكتف صلى الله عليه وسلم بهذا فقط، بل وجعلها في مقدمة الأشياء التي تعمل على **حفظ الدين**، ونشر **ثقافة السلم** ونبذ التناحر والاختلاف بينهم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (**دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يُثَبِّتُ ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم**)[3].

إليه، فعادوا إليها فأقاموا بها فهذا كان أول سكنى اليهود الحجاز والمدينة، ثم لحق بهم بعد ذلك بنو الكاهن بن هارون، عليه السلام). ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص84.

1- يذكر ابن الأثير في كتابه الكامل أن حربا نشبت بين عبس وذبيان، وكان السبب رهان على سباق بين فرسين داحس والغبراء، وسميت هذه الحرب باسمهما (حرب داحس والغبراء) ودامت هذه الحرب حوالي أربعين سنة. ينظر: بن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص509.

2- ابن ماجة، سنن بن ماجة، أَبْوَابُ الْأَطْعِمَةِ، باب إطعام الطعام، حديث رقم: 3251، ج4، ص397.

3- الترمذي، سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، حديث رقم: 2510، ج4، ص644.

- **المرحلة الثانية التجسيد:** بعد أن هدئت النفوس وتشربت من روح الإيمان واستوعبت **ثقافة السلم**، واقترن ذلك بالانتهاء من بناء المسجد النبوي[1]، تمهد الوضع لدى النبي صلى الله عليه وسلم[2]، واطمئن لطرح **مشروعه الإصلاحي** من خلال **فكرة الإخاء**[3]؛ حيث تجسدت في أرقى صورها ألا وهي **الإيثار**[4]، ولقد كانت هذه الفكرة بحق من أعظم الأفكار التي **مهدت لقيام** الحضارة الإسلامية، والتي من عظمها ذكرها تعالى في القرآن وأضفى عليها **صفة الفلاح**، يقول تعالى **{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)}** -سورة الحشر-[5].

لقد كان لفكرة الإيثار أثر عظيم على مجتمع المدينة؛ حيث نقلت فيه الإنسان من الفرد الذي **يعيش ليستلك** إلى الفرد التي **يعيش لينتج بل** وليفيض إنتاجا، فبعدما كان الفرد في المدينة يسعى لتحصيل **(حقوقه وتلبية حاجاته/استهلاكاته)**، انقلب به الوضع وأصبح يسعى للتضحية

1- لقد كان لبناء المسجد النبوي أهمية كبيرة جدا؛ وذلك لأن المسجد لم يتوقف دوره على وصل الإنسان بربه ونشر الإشعاع الروحي وتزكية النفس فقط، بل كان أول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي؛ حيث كان مركز لترسيخ العقيدة وتوحيد الصف، ونشر معاني الإخوة الإسلامية، ومدرسة لتخريج أعظم القائدة في تاريخ البشرية أجمع. ينظر: السباعي، السيرة النبوية، ص74. البوطي، فقه السيرة النبوية، ص143، 144.

2- يقول ابن حجر العسقلاني في الفترة التي طرح فيها النبي صلى الله عليه وسلم المؤاخاة (واختلفوا في ابتدائها فقيل بعد الهجرة بخمسة أشهر وقيل بتسعة وقيل وهو يبني المسجد وقيل قبل بنائه وقيل بسنة وثلاثة أشهر قبل بدر وعند أبي سعيد في شرف المصطفى كان الإخاء بينهم في المسجد). ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج7، ص270، 271.

3- وفيما يرويه ابن إسحاق في سيرته "وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، قال صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل- **(تآخوا في الله أخوين أخوين)**". ابن هشام، سيرة هشام، ج1، ص505. ولم تكن هذه المؤاخاة صورية فقط، بل كانت **مؤاخاة حقيقية** إلى درجة أنها بلغت **التوارث بينهم**، وذكر بن حجر العسقلاني "...لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة آخى بين المهاجرين وآخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة وكانوا يتوارثون". ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج7، ص270. مع الإشارة إلى أن هذا التوارث دام إلى أن ذهبت عن المهاجرين وحشة الغربة ومفارقة الأهل والعشيرة، ثم رفع بعد ذلك، يقول السهيلي (آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين نزلوا المدينة، ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه: **{وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ}** -سورة الأنفال، جزء من الآية75- أعني في الميراث ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}** -سورة الحجرات، جزء من الآية 10-، يعني في التواد وشمول الدعوة). السهيلي، الروض الأنف، ج4، ص177، 178.

4- من الصور التي جسدت لمعاني الإيثار ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "قالت الأنصار: اقسم بيننا وبينهم النخل، قال صلى الله عليه وسلم: **(لا)**. قال صلى الله عليه وسلم: **(يكفوننا المئونة ويشركوننا في التمر)** قالوا: سمعنا وأطعنا" البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين، والأنصار، حديث رقم: 3782، ج5، ص32.

5- يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية، وفي وصف الأنصار: (الذين قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم، وصدقوها بعملهم. وكانوا صادقين مع اللّه في أنهم اختاروه. وصادقين مع رسوله في أنهم اتبعوه. وصادقين مع الحق في أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراها الناس!... وهذه كذلك صورة وضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار. هذه المجموعة التي تفردت بصفات، وبلغت إلى آفاق، لولا أنها وقعت بالفعل، لحسبها الناس أحلاما طائرة ورؤى مجنحة ومثلا عليا قد صاغها خيال محلق... ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثا جماعيا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين. بهذا الحب الكريم. وبهذا البذل السخي. وبهذه المشاركة الرضية. وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء. حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة... والإيثار على النفس مع الحاجة قمة عليا. وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيرا. وكانوا كذلك في كل مرة وفي كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر قديما وحديثا). سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص 3526.

(بحقوقه/استهلاكاته) من أجل أن يلبي **(حاجات/استهلاكات)** غيره وجعلها من أولويات **(واجاباته/انتاجه)**.

ومن الجهة المقابلة كان **لاستجابة الأنصار** لفكرة الإخاء بتلك الطريقة **أثررجعي** على المهاجرين؛ حيث انهم لم يكتفوا فقط بالاستفادة من آثار هذه الفكرة، بل قاموا **بالاندماج** في مجتمع أهل المدينة وكان لهم أثر عظيم في خدمة اقتصادها ونموه، وفيما أخرجه البخاري عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، قال: "لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، قال -سعد بن الربيع- لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها. قال-عبد الرحمن-: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو، ثم جاء يوما وبه أثر صفرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(مهيم)**، قال: تزوجت، قال صلى الله عليه وسلم: **(كم سقت إليها؟)**. قال: نواة من ذهب، - أو وزن نواة من ذهب، شك إبراهيم -"[1].

وهكذا استطاعت **فكرة الإخاء** أن تجمع الفريقين معا المهاجرين والأنصار؛ وبتعاون الفرقين استطاعوا أن يخلقوا نوعا من **الاندماج النووي** انصهرت فيه كل **(حقوقهم/استهلاكاتهم)** لتتحول إلى **(واجبات/انتاجات)** حررت مجتمع المدينة من حالة **القابلية للاستعمار إلى حالة القابلية للإعمار**؛ فلم يعد الفرد يسعى لخدمت عصبيته وقبيلته، وإنما أصبح يسعى لخدمة الإسلام وأهله والتعاون معا من أجل إعلاء كلمة الله ودينه، هذا جعلهم يبنون حضارة أسقطت أعظم الحضارات في وقتها، حضارة الفرس وحضارة الروم، وبلغ صداها كل أصقاع العالم في وقت لا يتجاوز ثمانين سنة، وبفضل ذلك الإخاء والتعاون نالوا **نيشان خير الأمم** وذلك بشهادة من الله تعالى **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}**[2] -سورة آل عمران، جزء من الآية 110-.

خاتمة

وفي الأخير نذكّر القارئ الكريم أنّنا قمنا في هذه الدّراسة ببسط القول في معنى التّخطيط لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية استنادا إلى **المرجعية الدّينية**، وكان البريد إلى ذلك بيان الكفايات المنهجية لمقولة **الفكرة الدّينية** ودورها في إصلاح الأفراد والمجتمعات، ولم نكتف في بيان ذلك بالجانب النّظري فحسب، بل شفّعنا ذلك بنماذج تطبيقية تشهد لدور الفكرة الدّينية في أداء وظيفتها الإصلاحية.

1- البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين، والأنصار، حديث رقم: 3780، ج5، ص31.

2- يقول المراغي في تفسير هذه الآية (بعد أن أمر عز اسمه عباده المؤمنين بالاعتصام بحبله، وذكرهم بنعمته عليهم، بتأليف قلوبهم بأخوّة الإسلام، وحذّرهم من أن يكونوا مثل أهل الكتاب فى التمرد والعصيان، وتوعد على ذلك بالعذاب الأليم، واستطرد بين ذلك بذكر من يبيض وجهه ومن يسودّ، وبذكر شيء من أحوال الآخرة. أردف ذلك ذكر فضل المتآخين فى دينه، المعتصمين بحبله، ليكون هذا باعثا لهم على الانقياد والطاعة، إذ كونهم خير الأمم مما يقوّى داغيتهم فى ألا يفوّتوا على أنفسهم هذه المزية، وإنما يكون ذلك بالمحافظة على اتباع الأوامر وترك النواهي). المراغي، تفسير المراغي، ج4، ص28.

هذا كلّه من أجل إسماع صوت خافت يريد هذا المقال إيصاله إلى القرّاء، وهو الدّعوة إلى النّفير العامّ في استثمار الطّاقات الفكريّة النّاجعة التي تملك الموجّهات الحقيقية لترشيد الأفراد والمجتمعات، ونقلهم من مرحلة التخلّف والرّكود إلى مرحلة تنويرية قوامها العمل على تحقيق الفعل الحضاري، على مستوى الأفراد، والجماعات، والمؤسّسات، وليس هناك أنهض بهذه المهمّة من إعادة بعث **الإمكانات الرّوحية** وتوجيهها الوجهة الصّحيحة التي تؤهّلها للقيام برسالتها السّامية.

ولو فتشنا في الميراث الذي تملكه الإنسانية حتى وقتنا الرّاهن، لم نعثر على أنفس من **(الفكرة الدّينية)** في أداء هذه المسؤولية والتّخطيط لها على أحسن وجه، لهذا، ينبغي أن نعيد النّظر في الجهود التي قدّمناها لحدّ الساعة، ونحن نحاول (أو نزعم) العثور على حلول لتحقيق التنمية في شتى مجالاتها، دون الالتفات إلى ضرورة معرفة الوسائل **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}**. -سورة الأعراف، جزء من الآية 96-.

المصادروالمراجع

القرآن

1. أحمد بن علي بن حجر، المعروف: بابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب دار المعرفة -بيروت-، عام النشر: 1379هـ.
2. أحمد بن فارس بن زكريا، المعروف بابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر 1399هـ = 1979م.
3. أحمد بن مصطفى المراغي، المعروف: بالمراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده -بمصر-، ط1: 1365هـ = 1946م.
4. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1: 1429هـ = 2008م.
5. إسماعيل بن عمر بن كثير، المعروف: بابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة -بيروت-، عام النشر: 1395هـ = 1976م.
6. حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، المعروف: بالخطابي، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر -دمشق-، عام النشر: 1402هـ = 1982م.
7. زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، المعروف: بالمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب -القاهرة-، ط1:، 1410هـ-1990م.
8. سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، المعروف: بأبي داود،ي تحقق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل، قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1: 1430هـ = 2009م.

9. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، المعروف: بالترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد، عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي -مصر-، ط2: 1395هـ = 1975م.
10. سيد قطب إبراهيم، فى ظلال القرآن، دار الشروق -القاهرة-، (د.ط.ت).
11. شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، المعروف: بالحموي، معجم البلدان، دار صادر -بيروت-، ط2: 1995م
12. عبادة عبد اللطيف، فقه التّغيير في فكر مالك بن نبي، عالم الأفكار، الجزائر، ط2: 2007م.
13. عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، المعروف: بالسهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي –بيروت-، ط1: 1421هـ=2000م.
14. عبد الملك بن هشام، المعروف: بابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده -مصر-، ط2: 1375هـ = 1955م.
15. علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، المعروف: بابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، -بيروت-، ط1: 1417هـ = 1997م.
16. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت -، ط1: 1421هـ = 2000م.
17. علي بن محمد بن علي الزين الشريف، المعروف: بالجرجاني، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية -بيروت -، ط1: 1403هـ=1983م
18. مالك ابن نبي، في مهب المعركة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط3: 1981م.
19. مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر، -دمشق-، ط1: 1991م.
20. مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، -دمشق-، ط3: 1987م.
21. مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، دار الفكر -دمشق- ط1: 1978م.
22. مالك بن نبي، تأمّلات، دار الفكر، -دمشق-، ط1: 1979م.
23. مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر -دمشق-، ط3: 1986م.
24. مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، دار الفكر، -دمشق-، ط3: 2001م.
25. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط4: 1984م.
26. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، -دمشق-، ط3: 1986م.
27. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي (المسألة اليهودية)، مكتبة الأسد، آفاق معرفة متجددة، ط1: 1433هـ = 2012م.
28. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، -دمشق-، ط1: 1986م.

29. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان - بيروت -، عام النشر: 1989م.
30. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، المعروف: بابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق: الحافظ السيد عزيز بك، وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية - بيروت- ط3: 1417هـ.
31. محمد بن عمر بحرق الحضرمي، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار الحاوي -بيروت- عام النشر: 1998م.
32. محمد بن يزيد القزويني، المعروف: بابن ماجة، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط1: 1430هـ = 2009م.
33. محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام النشر: 1990م.
34. محّمد سَعيد رَمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر - دمشق-، ط25: 1426هـ.
35. محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، عام النشر 1997م.
36. مصطفى بن حسني السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، ط3: 1405هـ = 1985م.